# المحاضرة الرابعة (حصة واحدة): المبادئ العامة للنمو و أهم مناهج البحث في علم النفس النمو

*** تمهيد:**

لأجل فهم النمو لابد من التطرق إلى المبادئ العامة التي يسير بها، إذ تمكن العلماء من خلال متابعتهم للنمو بمختلف أشكاله الجسمية و البدنية و الإجتماعية و النفسية من حصر بعض أهم المبادئ.

## 1- أهم القوانين و المبادئ العامة للنمو:

يسير النمو بجميع جوانبه سواءاً الجسمية، الإجتماعية، الإنفعالية، الحركية حسب مبادئ متعارف عليها و هي على النحو التالي:

### 1-1: النمو يتضمن تغيرات كمية و كيفية:

و يعني هذا أن النمو يتضمن وجهين من التغير إحداهما يمثل الجانب البنائي او الكمي و الآخر يمثل الجانب الوظيفي او الكيفي. و من الأمثلة التي تدل على نمو الكمي، نمو الأعضاء المختلفة و زيادة حجمها، فمثلاً يزداد حجم الجهاز الهضمي إلا أن هذه الزيادة في الحجم يتبعها تغير في الوظيفة.

### 1-2: النمو عملية مستمرة متدرجة و منتظمة:

إن النمو الإنساني السوي عملية دائمة متصلة منذ أن بدأ الإخصاب و الحمل حتى إكتمال النضج، فإن كل مرحلة من مراحل النمو تتوقف على ما قبلها و تؤثر فيما بعدها، كما أن المرحلة السابقة تمهد للمرحلة اللاحقة، و هذا يعني عدم وجود وقفات أو فجوات في عملية النمو العادي، و لكن قد يكون هناك نمو كامن و نمو ظاهر، فعلى سبيل المثال الأسنان التي تكونت في الشهر الرابع و الخامس تبدأ في الظهور في العام الأول.

### 1-3: معدلات النمو غير ثابتة خلال المراحل المختلفة:

يشير هذا المبدأ إلى وجود اختلاف في معدل سرعة النمو البدني و الحركي عبر مراحل العمر المختلفة، فضلاً عن الإختلاف القائم فيما بين المكونات البدنية و الحركية في معدل سرعة نموها. و هذا ما يعني أن

هناك فترات معدل النمو فيها سريعة يمر بها الطفل، كما أن هناك فترات يكون فيها النمو الحركي بطيء. و الشكل الموالي يوضح اختلاف معدل النمو الجسمي (الطول) لدى الأطفال:

**الشكل يوضح الفترات الرئيسية الأربعة لنمو الطفل**

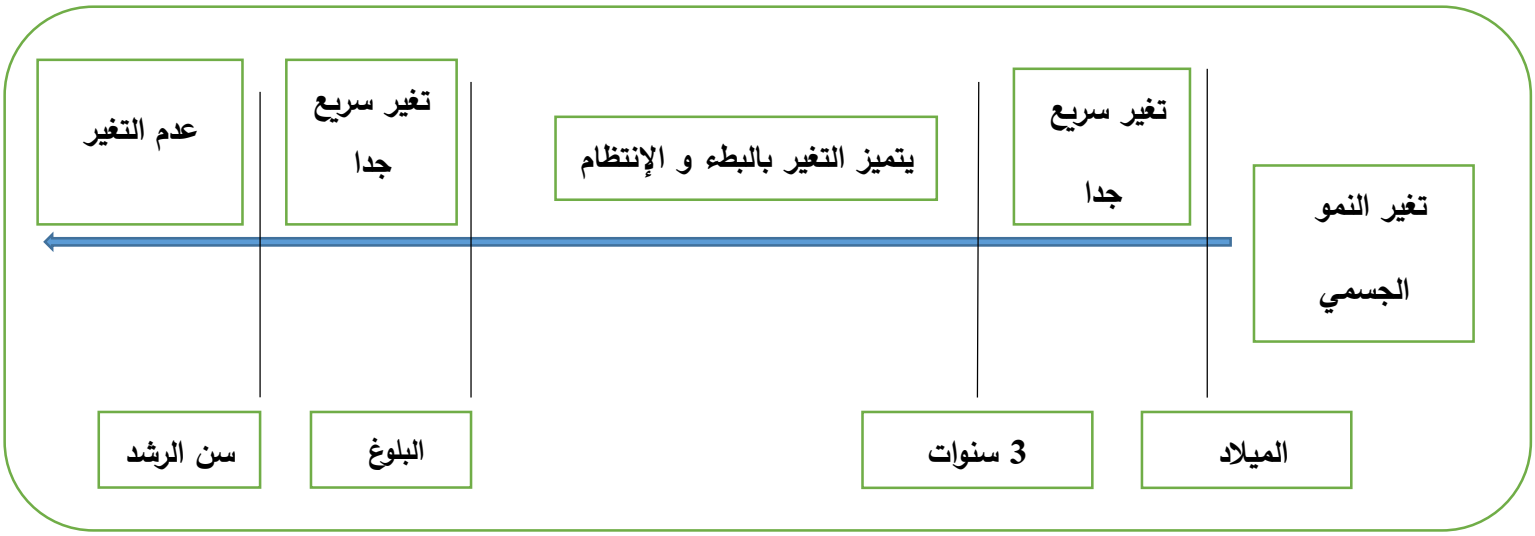


الملاحظ من خلال الشكل أن الفترة الممتدة من الميلاد إلى 3 سنوات تتميز بزيادة كبيرة في سرعة نمو طول الجسم، في حين أن الفترة ما بين 3 سنوات حتى بداية سن المراهقة ينخفض فيها سرعة نمو طول الجسم، أما الفترة الثالثة و هي مرحلة المراهقة و مع فترة البلوغ تزيد فيها نمو طول الجسم بسرعة كبيرة حتى نهاية فترة المراهقة.

**1-4: النمو يسير وفق مراحل معينة و كل مرحلة لها سمات خاصة و مظاهر مميزة:**

لكل طفل خصائصه المميزة، تكون الصفة الغالبة في هذا النمو هي النمو الحسي الحركي العضلي للجسم و العمل على تعلم المهارات الأساسية و إتقانها، بينما تكون الصفة الغالبة في مرحلة المراهقة هي التوافق الإجتماعي مع الأفراد و المحيطين بالبيئة التي يعيش فيها الفرد.

**1-5: النمو يتأثر بالظروف الداخلية و الخارجية:**

من الظروف الداخلية التي تؤثر في النمو " الأساس الوراثي " للفرد الذي يحدد مظاهر النمو الجسمي و العقلي و الإنفعالي و الاجتماعي، فنقص إفرازات الغدة مثلاً قد يؤدي إلى الضعف العقلي، و من الظروف الخارجية التي تؤثر في النمو " التغذية و النشاط الذي يتاح للطفل و الراحة و أساليب التعليم "، فنقص الغذاء مثلاً يؤدي إلى أمراض سوء التغذية مما يعيق النمو.

**1-6: النمو عملية معقدة جميع مظاهره متداخلة:**

نمو الإنسان عام و معقد و المظاهر الجزيئية فيه متداخلة مرتبطة فلا يمكن فهم أي مظهر من مظاهر النمو إلى عن طريق دراسته في علاقاته مع المظاهر الأخرى، فالنمو الإنفعالي مثلاً يرتبط ارتباطاً وثيقا بالنمو العقلي و الجسمي و الاجتماعي.

**1-7: يخضع النمو لمبدأ الفروق الفردية:**

يختلف الأفراد من حيث سرعة النمو كما و كيفا، فالفروق مبدأ واضح في النمو الإنساني، و أشارت الكثير من الدراسات التي تناولت الطول و الوزن عند الأطفال وجود فروق فردية في معدلات النضج، حتى ان الكثير من الأطفال يدخلون التعليم الأساسي عند سن السادسة غير ناضجين لبداية القراءة و الكتابة، و فهم هذا المبدأ في غاية الأهمية عند الآباء و المعلمين و الأخصائيين الإجتماعين، لأن الفشل في التعرف على هذه الفروق في معدلات النمو يمكن ان يكون مصدراً لسوء الفهم و الإرشاد الخاطئ.

**1-8: لكل عملية نمو مرحلة حرجة:**

هذه المرحلة يكون فيها الطفل مهيئ لتعلم مهارات معينة، فالطفل يتعلم الزحف في الشهر الخامس و يقف في الشهر العاشر تقريباً، و يبدأ السير عند تمام السنة، و اذا ما تهيأت الظروف المناسبة للتعليم في الفترة الحرجة فإن نتائج هذا التعليم تكون مناسبة، بعكس ما اذا تم التعليم مبكرا او في وقت متأخر عن الفترة الحرجة للمهارة فإنه في هذه الحالة يأتي بنتائج غير مرضية، فالطفل الذي يتم تعليمه المشي في السن المبكرة قد تنحني عظام الساقين لديه.

**1-9: النمو يسير من العام إلى الخاص:**

يسير النمو من العام إلى الخاص من الكل إلى الجزء، فيستجيب الفرد في بادئ الأمر استجابة عامة ثم تتفرغ هذه الاستجابة و تصبح أكثر دقة، فمثلاً الطفل الصغير لكي يصل إلى شيء يأكله فإنه يحرك كل جسمه في بادئ الأمر ثم اليدين ثم بيد واحدة.

**1-10: النمو يسير من الأعلى إلى الأسفل و من الداخل إلى الخارج:**

يقصد بذلك الأجزاء العليا تسبق السفلى، حيث تنضج منطقة الرأس أولاً ثم عضلات الذراع فالصدر فعضلات البطن ثم القدمين، أما اتجاه النمو من الداخل إلى الخارج فيعني نمو عضلات الكتف أولاً ثم الكوع ثم الرسغ ثم الأصابع.

**1-11: يمكن التنبؤ بالاتجاه العام للنمو:**

من المميزات التي تميز ظاهرة النمو النفسي أنه يمكن التنبؤ بحدوثه فنتوقعه و ننتظر حدوثه قبل ان يحدث، فنحن نتوقع في وقت معين زحف الطفل كما نتوقع وقوفه ثم قدرته على المشي، في مرحلة معينة نتوقع ظهور بعض العلامات التي تدل على البلوغ، و يتمشى مبدأ التنبؤ بإتجاه النمو، فأهداف علم النفس النمو فهم و ضبط و التحكم في الظواهر الإنمائية و كذلك التنبؤ بها.

**1-12: مبدأ التكامل في مظاهر النمو:**

يمثل النمو الحركي عملية متكاملة مع جوانب السلوك المختلفة الأخرى، بل إن العلاقة فيما بين هذه الجوانب علاقة وثيقة و متداخلة، حيث أن النمو الحركي و النمو العقلي و النمو الإنفعالي يتأثر كل منهما بالآخر و يؤثر فيه. و كمثال لذلك نجد ان مهارة المشي التي تعد في حد ذاتها نموا حركيا، لكنها تجعل الطفل أقدر على إستكشاف البيئة التي يعيش فيها مما يساهم في تطور نموه العقلي و اتساع مدركاته، كما أنها تؤثر في نمو السلوك من الجانب الإجتماعي، إذ عن طريق المشي تتسع دائرة إتصالات الطفل بالآخرين و تتنوع، و يمتد تأثير مهارة المشي إلى الجانب الإنفعالي، إذ تساعده على تقبل المواقف التي

تؤدي إلى الشعور بالرضا و السعادة و الإعراض عن المواقف التي تؤدي إلى خبرات الفشل أو الألم.

## 2- مناهج البحث في علم نفس النمو:

تعتبر المناهج و الطرق العلمية للبحث ضرورية لبناء أساس سليم لنمو العلم، و لقد تقدمت مناهج و طرق البحث في علم النفس النمو في مراحله المتتابعة و أصبحت الآن أكثر علمية، و تهدف إلى الوصول إلى حقائق و قوانين و نظريات راسخة في علم نفس النمو.

و لا يوجد منهج واحد صالح لدراسة كل مظاهر النمو بل يختلف منهج الدراسة و طريقته حسب الموضوع، لذلك من الضروري الإحاطة بأهم مناهج البحث في هذا العلم و هي:

### أ- المنهج التجريبي:

يعتبر أدق المناهج و أفضلها و ذلك لسببين رئيسين هما:

- أنه أقرب المناهج إلى الموضوعية عكس بعض المناهج التي تتصف بدرجة عالية من الذاتية.

- يستطيع الباحث الذي يتبع المنهج التجريبي السيطرة و التحكم في العوامل المختلفة التي يمكن ان تؤثر على الظاهرة السلوكية. و الباحث الذي يستخدم المنهج التجريبي لا يقتصر على مجرد وصف الظواهر التي تتناولها دراسته و إنما يدرس متغيرات هذه الظاهرة و يُحدث في بعضها تغييرا مقصودا و يتحكم في متغيرات أخرى ليتوصل إلى العلاقات السببية بين هذه المتغيرات.

و تسير الدراسة في هذا المنهج وفق التسلسل: ظاهرة، هدف، فروض، تجربة، نتائج، حقائق، قوانين نظرية.

* الظاهرة: تدور الدراسة حول ظاهرة من ظواهر النمو يدور حولها سؤال أو مشكلة تتحدى تفكير الباحث و تدعوه إلى حلها، و تعتبر المشكلة سؤال يحتاج إلى جواب مثلا: ظاهرة جناح الأحداث

* تحديد المشكلة: يحدد الباحث المشكلة على أساس تعريف و بلورة الظاهرة بوضوح و تجميع علامات الاستفهام المحيطة بالظاهرة، مثلا: ما هي الأسباب الحقيقية لظاهرة جناح الأحداث؟

* تبيان الهدف: و عادة ما تكون أهداف البحث العلمي في مجال علم نفس النمو و علم النفس العام هي التفسير، التنبؤ، الضبط.

* فرض الفروض: الفرض عبارة عن تفسير محتمل أو إجابة مؤقتة لإشكالية يضعها الباحث و تكون قابلة للتحقق أو الرفض بعد التجريب.

* التجربة: يقوم بها الباحث هادفا إلى تحقيق فروضه كلها أو بعضها أو رفضها كلها أو بعضها، و يشترط أن تكون التجربة موضوعية و دقيقة و يقوم الباحث فيها بالتجريب على عينة تجريبية ممثلة لمجتمع أصلي، بمعنى أن لها نفس خصائصه قبل تعميم النتائج النهائية.

* نتائج البحث: و هي ما يتم التوصل إليه بعد تحليل البيانات و تفسيرها ثم صياغة القوانين و على أساسها يضع الباحث نظرية حول الظاهرة التي عالجها بالدراسة.

**2- المنهج الوصفي:**

يتناول المنهج الوصفي الظواهر النفسية كالخوف، الغضب، القلق، الإنطوائية و التوتر، كما يتناول دراسة التاريخ التطوري لبعض مظاهر النمو في مختلف مجالاته، و تتم الدراسة الوصفية بطريقتين هما:

**أ- الطريقة الطولية:**

و في هذه الطريقة يتبع الباحث الظاهرة النمائية عبر الزمن، فلو كان الباحث ينظر في النمو اللغوي لدى طفل من الميلاد إلى خمس سنوات، فإن عليه ملاحظة نموه اللغوي طوال هذه الفترة

و تنطبق هذه الطريقة على عينات صغيرة جدا قد تصل إلى فرد واحد و تتطلب مزيدا من الوقت و الجهد و الصبر، لكن النتائج في الغالب يصعب تعميمها.

**ب- الطريقة العرضية:**

و يحاول الباحث استخدام هذه الطريقة توفيرا للوقت و الجهد، و ذلك من خلال تقسيم الفترة الزمنية المراد تتبع الظاهرة عبرها إلى فترات عمرية يحددها الباحث ثم يأخذ عينات كبيرة كل عينة منها تغطي فترة عمرية فرعية ثم يحسب المتوسط الحسابي لمعدل وجود الظاهرة في كل فئة ليصل في النهاية إلى استخراج متوسطات كل فئة عمرية من الفئات التي حددها الباحث لتمثل المرحلة الكلية المراد تتبع نمو الظاهرة عبرها.